طه حسين والدراسات الكلاسكية

د. عبـــــــدالمعطي شعراوي

سوفوكليس وطه حسين، ماردان يقفان فاردىْ أذرعهما الأربع فيكادان يخفيان منْ يقف خلفهما فى عالم الأدبيْن القديم والحديث على حد سواء. فسوفوكليس عملاق الأدب فى العصر القديم، وطه حسين عملاق الأدب فى العصر الحديث. فما بالنا حين يجتمع الإثنان فى عمل واحد. لقد حدث ذلك فعلا منذ أكثر من ثمانين عاما (عام 193. تقريبا) حين أصدرت مؤسسة دار المعارف الطبعة الأولـــــــــــــــــــــــى لمجلـــــــــــــــــــــــد بعنــــــــــــــــــــــوان " **من الأدب التمثيلى اليونانى – سوفوكليس**". إن كلا من سوفوكليس وطه حسين قد أصبح الآن غنيا عن التعريف. فلسنا هنا - إذن - فى حاجة إلى التعريف بأىّ منهما، لكن – فى رأيى – فإن كلاً منهما قد ساهم بقدر فعّال فى ذيوع شهرة الآخر. فلقد كان لطه حسين الفضل الأكبر فى تعريف القارئ المصرى والعربى بسوفوكليس بوجه خاص والثقافة اليونانية واللاتينية بوجه عام. كما كانت لدراسة طه حسين وولعه الشديد بسوفوكليس بوجه خاص والثقافة اليونانية واللاتينية بوجه عام الفضل الأكبر فى تشكيل فكره وذيوع صيته فى عالم الثقافة والفكر. وياليت دارسى الأدب فى العصر الحديث يدركون مدى شغف طه حسين بالدراسات اليونانية واللاتينية، وولعه الزائد لدراستها وتدريسها، وحماسه المتدفق من أجل انتشارها وتعريف القارئ العربى بمآثرها وأفضالها.

صدرٍّ باكورة أعمال طه حسين فى مجال التراث اليونانى بعنوان"**آلهة اليونان**". يضم هذا المجلد مجموعة محاضرات بعنوان " الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهة وأثرها فى المدينة ". ألقى طه حسين هذه المحاضرات بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن وجامعة فؤاد الأول سابقا)، وقام بتلخيصها الأستاذ محمد حسين جبرةالموظف بنيابة السيدة زينب فى عام 1920.. كما صدرت فى عام 1920. أيضا الطبعة الأولى من كتاب بعنوان " **صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان** ". يحتوى هذا الكتاب على مقدمة طويلة حيث يشرح طه حسين أهمية دراسة الإغريقيات ويندد بهؤلاء الذين يعارضون تدريس لغة الإغريق ويعملون جاهدين على وأد الدراسات الإغريقية. ثم يتعرض لحياة كل من الشاعريْن التراجيديين أيسخيلوس وسوفوكليس ويناقش أعمالهما المسرحية. بعد ذلك قام طه حسين بترجمة كتاب "**نظام الآثينيين**" لأرسطو. ظهرت هذه الترجمة العربية لأول مرة فى عام 1921 مسبوقة بمقدمة تناول فيها المترجم حياة أرسطو وعصره وآراءه،

كما استعرض أهم أعماله (*). ثم صدرت بعد ذلك ترجمة لستة نصوص مسرحية لسوفوكليس وهى: الكترا، وأياس، وأنتيجونا، وأوديبوس ملكاً، وأوديبوس فى كولونا، وفيلوكتيتيس (وهى النصوص التى نحن بصدد تقديمها). بعد ذلك نشرت دار الهلال لطه حسين كتابا بعنوان " **قادة الفكر** "، تناول فيه : هوميروس رائد الشعر الملحمى عند الإغريق، وسقراط الفيلسوف الإغريقى الساخر، وأفلاطون المفكر الإغريقى القدير، وأرسطو المعلم والناقد الإغريقى الأول، والإسكندر الأكبر أعظم زعماء قادة الفكر السياسى فى العصر السكندرى، ويوليوس قيصر الزعيم السياسى الناضج فى العصر الرومانى. ثم هناك أيضا كتاب طه حسين المعروف بعنوان " **مستقبل الثقافة فى مصر** ". صدر لأول مرة فى جزأين عام 1938، ويحتوى على البرامج المقترحة لطرق التعليم فى جميع المراحل الدراسية فى مصر، وكيفية إعداد المعلم، وكيفية النهوض بالأدب والفن. فى هذا الكتاب يدعو طه حسين لتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية والاهتمام بالتراث الإغريقى واللاتينى ومحاولة الاستفادة منه. بالإضافة إلى هذه المؤلفات فإن طه حسين كان يتحيّن كل فرصة فيلفت الأنظار إلى أهمية التراث الإغريقى واللاتينى، كما يبدو واضحا فى أغلب مؤلفاته الأخرى مثل "**رحلة ربيع**"، و"**ألوان**"، و"**أديب**"، و"**الأيام**" وغيرها.

قبل صدور هذه المؤلفات كانت المكتبة العربية تكاد تكون خالية من الأعمال الأدبية التى تتصل بذلك النوع من الدراسات. ففى عام 1920. يقول الأستاذ محمد حسين جبرة فى مقدمة كتاب " **آلهة اليونان**" (ص ص3، 4) "ليس فى مقدورى أن أصف ....ما لقيتُ من الصعوبة فى إعدادها (مادة الكتاب) لأن المصادر التى نقلتُ عنها ليس لها فى اللغة العربية وجود سابق غير تلك الشذرات التى تخيّرتُها مما هو مبثوث فى ثنايا الإلياذة، وقد نسّقتها ولاءمتُ بينها وأضفت إليها ما تخيّرته من دائرتىْ البستانى وفريد وجدى بك ". ولقد كان طه حسين نفسه يحسّ بمرارة شديدة لعدم اهتمام المصريين بذلك التراث. ففى عام 1921 يقول طه حسين فى مقدمة ترجمته العربية لكتاب " **نظام الآثينيين** " (ص ص 7- 8) : " إذ كنت أدرس تاريخ اليونان فى الجامعة، وكنت قد أخذت نفسى بأن أفسّر من حين إلى حين بعض الأصول التاريخية القديمة ليتعوّدوا على قراءة كتب التاريخ ونقدها والاستفادة منها، فقد اخترت لهم فى هذه السنة هذا الكتاب. ولكن لا أبدأ هذا الدرس حتى يملكنى الخجل أن أفسّر كتابا استُكشف فى مصر فأقرأ ترجمته الفرنسية أو الإنجليزية، لأن قراءة الأصل اليونانى غير ميسورة ولا نافعة ،إذ ليس من طلاب الجامعات منْ ألمّ بهذه اللغة. فما بالى لا أفسّر ترجمته العربية، إذا كان الشقاء قد قضى علينا ألا نعنى باللغات القديمة ولا نحفل

(*) أنظر مقالنا "طه حسين والتراث الإغريقى"المنشور بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة طه حسين فى العدد 165فى مجلة الجديد القاهرية الصادر فى 15 نوفمبر 1978.

بدرسها".

كان طه حسين يدرك مدى جهل المصريين حينذاك بالتراث الإغريقى، بل كان يسخر من القائمين على نظم التعليم فى عصره. يقول فى المرجع السابق ذكره (ص7) : " عرفت هذا الكتاب (**نظام الآثينيين** لأرسطو) – الذى أقدّمه اليوم إلى قرّاء العربية – بطريق الصدفة فى باريس. أحالنا عليه أحد أساتذتنا فى السوربون. فلما رجعت إليه عرفت أنه استُكسف فى مصر سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وألف. ثم نُقل إلى المتحف البريطانى فى لوندرا، ثم نُشرت صورته الفوتوغرافية.ثم طُبع فى لوندرا وباريس وبرلين وغيرها من مدن أوروبا. ثم نُقل إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات الحديثة. ثم نُقد وفُسّر فى جميع هذه اللغات. ثم دُرس فى جامعات أوروبا. ثم انتفع به مؤرّخو الأوروبيين، فأصلحوا ما كان من تاريخ أثينا من خطأ، وأكملوا ما كان فيه من نقص. ثم مضت على ذلك ثلاثون سنة والمصريون لا يعلمون من أمره شيئا ".

لم تقابل دعوة طه حسين لدراسة الإغريقيات بالترحيب أو الإستحسان، بل قوبلت بالصدّ وعدم الرضا. أعرض عنه الجميع، وثار فى وجهه المسئولون، وانفضّ من حوله معظم رفاقه وأصدقائه. يصف طه حسين ما حدث له فى ذلك الوقت فى مقدمة كتابه " **صحف مختارة** " (ص ص1، 2) قائلا : " لم أكد أبدأ فى الجامعة المصرية درس التاريخ اليونانى فى هذه السنة الدراسية، حتى رضى قوم وسخط آخرون. وكان الذين رضوا أقل الناس عددا والساخطون أكثرهم جمعا، وأضخمهم جمهورا ...وكانت حجتهم فى ذلك غير مقنعة. كانوا يتساءلون : أو ليس من المعقول أن نعرف أنفسنا قبل أن نعرف غيرها ! ...قالوا ذلك .وقالوا أكثر من ذلك. ولم يكتفوا باللوم والتشنيع، بل أعرضوا عن الدرس. وجعلوا كثيرا من الطلاب لا يحضرونه إلاّ وفاءً بما عليهم للجامعة من حق، أو رغبة فى تكريم الأستاذ الذى تفضّلوا عليه بشئ من الحب له .." ربما يكون طه حسين قد استشعر سببا خفيا لهذه المعارضة الشرسة حيث يقول :"يخيّل إلىّ أن عدم الوقوف على تاريخ اليونان وحده هو السبب الحقيقى فيما لقى الناس به هذا الدرس من فتور وإعراض،بل تشنيع وإنكار. فلن ينفّرك من الشئ ويرغّبك عنه أكثر من جهلك له".

لم يفتر حماس طه حسين، لم يزده هذا الإعراض إلا إصرارا على إصراره. لم يتسرّب إلى نفسه اليأس بل ثبتت جذور الأمل فى صدره الواسع. دأب على الكتابة فى مجال الدراسات اليونانية واللاتينية. استمر فى إلقاء محاضراته داخل الجامعة وخارجها. كان يرنو بذلك إلى هدف بعينه. كان هدفه التعريف بالتراث اليونانى، وتشويق المصريين وحثّهم على الاهتمام بدراسة ذلك التراث العريق. يقول طه حسين فى " **صحف مختارة** " (ص9) : " رأيت أن الذين يختلفون إلى الجامعة

مهما كثروا نفر قليل لا يكفى أن يعلموا فتعلم الأمة، فخُيّل إلىّ أن الكتابة والنشر أوفق لتقريب هذه المادة من الجمهور وتحبيبها إلى نفسه. فعزمت أن أنشر من هذه المادة ما قلت فى الجامعة وما لم أقل، وأن أذيع كل ما شأنه أن يعطى قرّاء اللغة العربية صورة واضحة بعض الوضوح، حسنة بعض الحسن، من حياة الأمة اليونانية. أفعل ذلك لأنى أراه واجبا علىّ للذين لم يمكّنهم وقتهم من درس اللغات الأجنبية وواجبا علىّ كذلك للغة العربية نفسها. فإن من الحق علينا أن نبذل ما نستطيع من قوة، وننفق ما نملك من مال، لنغنى هذه اللغة ونكثر متاعها مما امتلأت به لغات أوروبا. وليس يغفر لنا أن نعيش فى هذا القرن - بكل ما تستمتع به الشعوب الأوروبية من استقلال سياسى وعلمى – ثم نبقى عيالا على الأوروبيين فى كل ما يغذّى العقل والشعور من علم وفلسفة، ومن أدب وفن جميل". يردد طه حسين نفس المعانى تقريبا فى كتابه " **آلهة اليونان** " (ص ص 5-6) حيث يقول : " يجب ألا نجهل من أمرنا شيئا. ويجب إلى ذلك أن نعلم من أمر غيرنا كل ما وجدنا إلى العلم سبيلا. فإذا أضفنا إلى هذا أن العلم بتاريخنا الخاص موقوف على العلم بتاريخ اليونان ... وإن رقيّنا الحديث موقوف على درس هذا التاريخ، لأن معنى هذا التاريخ هو الأخذ بما يلائمنا من المدنية الحديثة، وهذه المدنية الحديثة يونانية قبل كل شئ ...إذا لاحظنا هذا كله عرفنا أن درس التاريخ اليونانى ليس واجبا علميا فحسب بل هو واجب وطنى أيضا. فكل منْ درس أو عمل على إذاعته فى الجمهور فقد خدم أمّته لأنه يمهّد للمصريين سبيل العلم بتاريخهم والحصول على استقلالهم".

لم يكتف طه حسين بالجدل العلمى والمناقشات القائمة على الحقائق العلمية بل كان يلجأ دائما إلى عنصر التشويق والإغراء. فى مقدمة كتابه " **صحف مختارة** " (ص11) يقول : " وددت – وليت هذا الودّ يغنى – أن تكون هذه الصحف المختارة مشوّقة للناس إلى أن يقرأوا ما بقى من تمثيل اليونان كاملا غير مبتور، وأن يدعوهم ذلك إلى الرغبة فيما تركوا من شعر قصصى، وما أعقبوا من شعر غنائى، ثم من تاريخ وفلسفة، إلى غير ذلك من آثارهم العقلية والفنية ". وأثناء حديثه عن أفلاطون فى كتابه " **قادة الفكر** " (ص112) يقول : " لست أفصّل لك قواعد التربية عند أفلاطون، فذلك شئ يطول، ومن اليسير عليك أن تقرأه فى (محاورة) **الجمهورية**، فستجد فى قراءته لذة لا تعادلها لذة ". كما يختتم طه حسين حديثه عن هوميروس فى نفس الكتاب (ص ص 21-22) بقوله : " أكنت مصيبا إذن حين زعمت أن شعراء الإلياذة والأوديسا يعَدّون بحق من قادة الفكر الإنسانى؟ ولكنك لا تسألنى : ما الإلياذة ؟ وما الأوديسا ؟ ولست أجيبك على هذا السؤال، وإنما أريد أن تجيب نفسك عليه. أريد أن تقرأ الإلياذة والأوديسا لتعرف ما هما ... كل ما أطمح إليه فى هذه الفصول هو أن أشوّقك إلى أن تقرأ شيئا قليلا أو كثيرا من آثار المفكرين الذين أتّخذهم

موضوعا لهذه الأحاديث ".

لم يكن حماس طه حسين لدراسة الإغريقيات نابعا من مجرد نزوة عاطفية أو تأثّراً بشريكة حياته الأوروبية، بل كان قائما على قناعة علمية أكاديمية. فى كتابه "**صحف مختارة** " (ص5) يقول : " لو أن المصريين ألمّوا بتاريخ اليونان بعض الإلمام لكلفوا بدراسته وتحصيله الكلف كله. وذلك لأمرين :

الأول : أن فهم التاريخ المصرى خاصة والتاريخ الإسلامى عامة موقوف على فهم التاريخ اليونانى. فما ينبغى لأحد أن ينسى ما كان للحضارة اليونانية من التأثير الظاهر فى حضارة العالم كله ومنه البلاد الإسلامية.

ثانيا : أن النهضة الحديثه فى أوروبا إنما هى فى معظم أمرها أثر من آثار اليونان ...وأنك لا تكاد تتناول بالبحث التاريخى أصلا من أصول النهضة الحديثة الأوروبية إلا اضطررتَ إلى أن ترجع به إلى تاريخ هاتين الأمّتيْن". ثم يواصل طه حسين فى نفس الكتاب (ص6) موضّحا فائدة تدريس اللغة اليونانية والتاريخ اليونانى القديم : "لم أقل إلى الآن إلا ما يرغّب فى درس التاريخ اليونانى من الفائدة العلمية. وكنت أودّ لو استطعتُ أن أستغنى عن هذا كله وألا أرغّب الناس فى درس قسم من أقسام التاريخ إلا بأنه قسم من أقسام العلم، وأن من الحقّ علينا أن ندرسه لأنه علم ليس غير، فإن الأمم التى بلغت من الرقى مبلغا معقولا تخصص من مالها ووقتها وقوتها غير قليل تنفقه فى درس العلم ونشره، لا تبتغى من وراء ذلك فائدة علمية. تلك منزلة يسوؤنى الاعتراف بأنّا لم نصل إليها بعد، ويسرّنى أن يكون وصولنا إليها غير بعيد". ثم يواصل (ص9) قوله : " أليس من الخجل أن يجهل الجمهور الضخم من شبابنا ما اشتملت عليه آداب اليونان من نظم ونثر، ومن تاريخ وفلسفة، مع أن فهم الآداب الحديثة التى أخذنا نميل إليها ونشغف بها غير ميسور إذا لم نلمّ بهذه الآداب إلماما غير قليل ؟ وكيف نحاول أن نفهم كورنى وراسين وبيرون وجيته وغيرهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة إذا لم نفهم شعراء اليونان وكتّابهم وفلاسفتهم ".

هكذا كان طه حسين مقتنعا بصحة دعوته، متحّمسا لقضيته. كان دائما يعرب عن احترامه الشديد للتراث الإغريقى. عندما طلب منه المسئولون عن دار الهلال القاهرية أن يقدم للقارئ العربى بعض المفكرين والفلاسفة البارزين الذين أثروا فى الفكر الإنسانى بدأ على الفور بهوميروس. لم يفعل ذلك دون تبرير، لكنه يبرر ذلك قائلا (**قادة الفكر**، ص12) : " لعلك تدهش حين ترانى أحدّثك عن منشئ الإلياذة والأوديسا، لعلك كنت تقدر أنى سأحدّثك عن فيلسوف من

هؤلاء الفلاسفة الذى خلّد التاريخ القديم والحديث أسماءهم وآراءهم، عن سقراط أو أفلاطون أو ديكارت أو جان جاك روسّو أو كَنْت أو أوجست كُمِت أو سبنسر. سأحدثك عن هؤلاء، ولكن بعد أن أحدثك عن هوميروس وخلفاء هوميروس ". وعند قراءة كتاب **قادة الفكر** فسوف نلاحظ أن طه حسين قد أسهب فى الحديث عن قادة الفكر الإغريق والرومان فقط واكتفى بمجرد ذكر أسماء قادة الفكر فى العالم الحديث. لكننا سوف ندرك على الفور السبب الذى دفع طه حسين إلى ذلك. إنه يكنّ احتراما وتقديرا للشعب الإغريقى. إنه يراه – حتى أثناء بداوته – جديرا بالاحترام والتقدير. يظهر ذلك واضحا حين يقول (**قادة الفكر**، ص14) : "أما بداوة اليونان فقد أثّرت فى اليونان، وأثّرت فى الرومان، وأثرت فى العرب، وأثرت فى الإنسانية القديمة والمتوسطة، وهى تؤثر الآن فى الإنسانية الحديثة، وسوف تؤثر فيها إلى ما شاء الله. إذن فشعراء البداوة اليونانية يونان ولكنهم ملك للإنسانية ". يتكرر ذكر مثل هذه المبررات فى أعمال طه حسين المتعددة، لكنه كان يحاول دائما أن يضيف إليها بين فترة وأخرى مبررا آخر أو يضيف بعض المعلومات كى يؤكد أحدها. ففى كتاب **مستقبل الثقافة** أثار قضية ما زالت حتى اليوم مثارا للنقاش وهى : هل العقل المصرى شرقى التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء، أم غربى التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء. أو – كما يقول طه حسين – " بعبارة موجزة جليّة أيهما أيسر على العقل المصرى : أن يفهم الرجل الصينى أو اليابانى أو أن يفهم الرجل الفرنسى أو الإنجليزى (**مستقبل الثقافة**، ص 5).

ناقش طه حسين هذه القضية بمنطقه الخاص، وبعقله الواعى، وتفكيره السليم. رأى أن المصريين القدماء كانوا على علاقة بالشرق الأقصى، لكنه رأى أيضا أن هذه العلاقة لم تتعدّ العلاقات الإقتصادية فقط. كما رأى أيضا أن العلاقة الوطيدة بين مصر ودول الشرق الأخرى لم تتعد ما نسميه الآن فلسطين والشام والعراق. ثم إن طه حسين يسلّم بوجود علاقة وطيدة – من ناحية أخرى – بين مصر والحضارات الإيجية القديمة، وبين مصر والحضارة اليونانية فى عصور ازدهائها وازدهارها، منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى عصر الإسكندر الأكبر. ولقد استند طه حسين على المعلومات الأكيدة التى تبين أن مصر عرفت اليونان منذ عهد بعيد جدا، وأن المستعمرات اليونانية قد أقرّها الفراعنة فى مصر قبل الألف الأولى قبل مولد المسيح. ويشير أيضا إلى ما هو معروف أن الأمة الفارسية – وهى أمة شرقية – قد أغارت على مصر وأزالت سلطانها فى آخر القرن السادس قبل الميلاد، وأن مصر لم تذعن لهذا السلطان الشرقى الأجنبى إلا كارهة،بل ظلت تقاومه أشد المقاومة وأعنفها مستعينة على ذلك بمتطوعين من اليونان حينا وبمحالفة المدن اليونانية حينا آخر حتى كان عصر الإسكندر الأكبر. بعد هذه المناقشة يخلص طه حسين إلى أن العقل المصرى لم يتصل بعقل الشرق الأقصى اتصالا ذا خطر، ولم يعِشْ عيشة سلم

وتعاون مع العقل الفارسى، وإنما عاش معه عيشة حرب وخصام. ويقوده ذلك بالتالى إلى الاعتقاد أن العقل المصرى قد اتصل من جهة بأفكار الشرق القريب اتصالا منظما مؤثرا فى حياته ومتأثرا به، واتصل من جهة أخرى بالعقل اليونانى منذ عصوره الأولى – اتصال تعاون وتوافق وتبادل مستمر منظم للمنافع – فى الفن والسياسة. معنى ذلك كله فى آخر الأمر بديهى : يبتسم الأوروبى حين تنبئه به، لأنه عنده من الأوليات – على حد قول طه حسين – لكن المصرى والشرقى العربى يلقيانه بشئ من الإنكار والإزدراء، يختلف باختلاف حظهما من الثقافة والعلم وهو : أن العقل المصرى منذ عصوره الأولى إن تأثر بشئ فإنما يتأثر بالبحر المتوسط، وإن تَبَادَل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر المتوسط (نفس المرجع، ص ص 9-11). أضف إلى ذلك أن الإغريق كانوا يذكرون فى أشعارهم وقصصهم ومسرحياتهم أنهم تلاميذ المصريين، كما أن الإغريق قد تأثروا بالمصريين فى الفن والنحت والعمارة ..إلخ. فإذا أردنا أن نلتمس المؤثر الأساسى فى تكوين الحضارة المصرية، وفى تكوين العقل المصرى، وإذا لم يكن بد من اعتبار عامل البيئة فى تقدير هذا المؤثر، فمن اللغو والسخف أن نفكر فى الشرق الأقصى أو فى الشرق البعيد، ومن الحق أن نفكر فى البحر المتوسط، وفى الظروف التى أحاطت به، والأمم التى عاشت حوله. إذن، فالعقل المصرى القديم ليس عقلا شرقيا إذا فُهِم من الشرق والصين واليابان والهند وما يتصل بها من الأقطار، وقد نشأ هذا العقل المصرى فى مصر متأثرا بالظروف الطبيعية والإنسانية التى أحاطت بمصر وعملت على تكوينها، ثم نما وربا، وأثر فى غير الشعب المصرى من الشعوب المجاورة، وتأثر بها. وكان من أشدّ الشعوب فى ذلك العقل الإغريقى.

لم يكتف طه حسين بهذا الحد من النقاش، بل ناقش أيضا طبيعة العلاقة بين مصر وبلاد الأغريق. يتساءل طه حسين : عندما جاء الإسكندر إلى مصر وأنشأ مدينة الإسكندرية، فهل تعتبر هذه المدينة شرقية أم غربية. يؤكد طه حسين أنها مدينة غربية لا شرقية، لكن كانت نتيجة إنشائها أن اختلطت العقلية المصرية بالعقلية الإغريقية. وحتى بعد أن هزم الرومان الإغريق فقد بقيت العقلية الإغريقية قائمة (**مستقبل الدراسات**، جـ1، ص ص 18-2.). وحتى فى العصر الإسلامى فإن هناك حقيقة يشير إليها طه حسين وهى أن كلا من المسيحية والإسلام نشأ فى الشرق، وأن الأوروبيين كانوا ذوى عقل إغريقى، وأن المسيحية لم تأتِ على العقل الإغريقى. كما يشير طه حسين إلى أن الإسلام أيضا لم يقضِ على العقل الإغريقى الذى كان يتصف به المصريون منذ العصور التى كانوا فيها على صلة وثيقة بالإغريق (نفس المرجع ص ص 21-23). فالمسيحية اتصلت بالفلسفة الإغريقية، والإسلام اتصل أيضا بالفلسفة الإغريقية، وتأثر كل منهما بالآخر. بل أكثر من ذلك، فقد غزت شعوب ذوات عقل غير إغريقي أوروبا فأتت على الثقافة الإغريقية، وفى

نفس الوقت كان العرب والإسلام متصليْن بالفلسفة الإغريقية. ثم بدأت الثقافة بعد ذلك تُنقل (عن طريق اللاتينية) إلى أوروبا فى القرن الثانى عشر(نفس المرجع، ص ص 23-26). من هذه المناقسة يخلص طه حسين إلى أنه ينبغى أن يفهم المصرى أن الشرق الذى ذكره كيبلينج فى بيته الشهير "الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا " يصدق عليه أو على وطنه.

يمكن أن نضيف إلى ما أورده طه حسين ما يؤكد صدق زعمه وهو وجود هذه الصلة الوثيقة بين مصر وبلاد اليونان. فسجلات التاريخ مليئة بما يشير إلى أن مصر كانت كعبة للشعراء والكتاب والمفكرين الإغريق. زار أفلاطون مصر وتركت هذه الزيارة فى نفسه آثارا قوية. فقد شاهد فى هذه البلاد آثار تلك الحضارة الضخمة التى كان يتحدث عنها الإغريق فى إعجاب شديد. زار هيرودوت مصر وخصص كتابا كاملا من كتبه التسعة فى التاريخ لوصف مصر وعادات أهلها. قيل أيضا إن الشاعر ألكايوس قد زار مصر مع بعض أعوانه، وربما يكون قد خدم جنديا مرتزقا فى جيش الملك إبسماتيك. كما قيل أيضا إن شقيق الشاعرة سافو سافر إلى مصر وبقى هناك ربما فى مدينة ناوكراتيس التى كانت تسكنها جالية إغريقية ضخمة. هذا بالإضافة إلى أن أكثر من عشرين قصيدة غنائية من قصائد الشاعر الغنائى باخيليديس قد اكتُشفت فى مصر، وأن ما يربو على ألف بيت من أشعار الشاعر الإغريقى ألكمان قد اكتُشفت فى مقابر الفراعنة، ثم بعث بها مارييت إلى فرنسا حيث طبعت ونشرت لأول مرة فى باريس. كما أن أغلب نصوص الكاتب المسرحى الكوميدى ميناندروس قد اكتشفت أيضا فى صعيد مصر. والأمثلة كثيرة تفوق الحصر ولابد أن طه حسين كان يحملها بين ثنايا عقله الواعى ولكن لم يتسع المقام من أجل ذكرها.

لم يكن طه حسين يهتم بضرورة دراسة الأدبين الإغريقى واللاتينى فقط، بل كان يرى أن دراسة لغة أى شعب من الشعوب تساعده على دراسة أدبه. لذلك خاض طه حسين معركة ضارية من أجل إدخال تدريس اللغتين اليونانية واللاتينبة فى المدارس المصرية. أثناء وزارة على ماهر باشا تقرر تدريس اللغتين اليونانية واللاتينية فى بعض المدارس الثانوية فى مصر. لكن سرعان ما أُلغى ذلك القرار. بل بدأ المسئولون عن التعليم فى إلغاء تدريس هاتين اللغتين فى بعض كليات الجامعة المصرية أيضا مثل كلية الحقوق. لكن طه حسين ظل يدافع عن وجود وكيان هاتين اللغتين فى كلية الآداب إلى أن دُبّرت ضدة مؤامرة لطرده من الجامعة. وتمّ ذلك فعلا، وأُلغى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب فى عام 1932. لكن لم يكن من طبع طه حسين الاستسلام، لذا صمد وظل ماضيا فى طريقه حتى عاد إلى الجامعة فى عام 1934. وفى عام 1938 اقترح طه حسين أن يكون تدريس اللغات الأجنبية فى المدارس الثانوية اختياريا، وأن يكون للطالب حق الاختيار بين أربع لغات أوروبية حديثة هى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وحق

اختيار إحدى لغتين شرقيتين هما العبرية والفارسية ولغتين قديمتين هما اليونانية واللاتينية. لكن كان مصير اقتراح طه حسين الرفض التام فى ذلك الوقت، ثم أُخذ به فيما بعد فيما يتعلق بحق اختيار الطالب بين أربع لغات أحنبية حديثة فقط، ثم بعد سنوات عديدة بدأ اختيار الطالب بين لغتين شرقيتين ولغتين قديمتين ينتشر وما زال منتشرا حتى الآن ولكن فى بعض كليات الآداب فى الجامعات المصرية.

لم تكن دعوة طه حسين لتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية قائمة على مجرد حماس عاطفى، بل على أسس علمية متينة، بينما كانت محاربة هذه الدعوة نتيجة أسباب عديدة منها أسباب شخصية أو سياسية. تبرهن على صدق ذلك قصة جاءت على لسان طه حسين فى كتاب **مستقبل الثقافة** (ص286 وما بعدها) حين كان يجاهد من أجل إدخال تدريس اللغتين اليونانية واللاتينية فى كلية الآداب " ألححت ومضيت فى الإلحاح حتى أجابتنى الجامعة القديمة إلى ما أردت لتستريح من إلحاحى لا لتحقق رأيا اقتنعتْ به واطمأنتْ إليه ...ومع ذلك فقد أجابتنى ولم تجبنى. فقررت تعليم هاتين اللغتين على هامش الدراسة الجامعية لا على أنهما جزء من المنهاج. وبهذا الحديث قوبلت فى الجامعة المصرية الحكومية – وما أزال أقابَل – كلما طلبت المزيد من العناية بهاتين اللغتين فى كلية الآداب. ومن المحقق أن فرع الدراسات القديمة بكلية الآداب يُحْتَمَل احتمالا ولا يقتنع بضرورته وفائدته إلا قلة من الجامعيين المصريين. والطريف أن وقتا من الأوقات قد مضى على كلية الآداب كان فيه بعض الأساتذة من الإنجليز يؤيدون مقاومة تدريس هاتين اللغتين تأييدا عنيفا وكان أشدهم غلوا فى ذلك أستاذ من أساتذة ليفربول هو الأستاذ كوبلند الذى تخصص فى تاريخ العصور الوسطى والذى تقوم حياته العلمية كلها على اللغة اللاتينية. وأذكر أنى حاورته ذات يوم فى ذلك أثناء جلسة من جلسات مجلس الكلية، فلما اشتد الحوار وكادت كفّته ترجح سألته : أتعرف جامعة إنجليزية تهمل فيها اللغة اللاتينية ؟ قال لا. قلت : فما بالك تريد أن تكون الجامعة المصرية بدعا من جامعاتكم ؟ قال : لأن مصر لم تبلغ بعد أن تكون كإنجلترا. وكان جوابه هذا الصريح كافيا لتحوّل الكثرة عنه وانضمامها إلىّ ".

لقد تأثرت شخصية طه حسين بالشخصية الإغريقية، فأضحى كالسهم المنطلق يمرق إلى ما لا حدود، تحوطه الأعين من كل جانب. لكن لا تظهر صلابته إلا عندما يصطدم بحائل صلب. ولعل الجميع يذكرون جيدا مواقف طه حسين الصلبة التى لن تغيب عن الأذهان. لقد ظل ينطلق كالسهم المارق مهما كلّفه ذلك ومهما ظهر أمامه من معارضين. لقد بنى طه حسين فلسفته – كما بناها سقراط من قبل – على حكمة – كانت منقوشة على جدران معبد الإله أبوللون فى دلفى –

تقول " إعرف نفسك بنفسك ". عندما غضب حفظة الدين على سقراط وأرادوا معاقبته أرادوه على أن يقلع عن الاستخفاف بعاداتهم فأبى إلا أن يستمر فى طريقه. قالوا له أثناء المحاكمة : بماذا تتعهد إذا سومحت من هذه المعصية ؟ قال سقراط : أتعهّد بنشر هذا الرأى – الذى أعاقَب الآن من أجل اعتناقه – بين أكبر عدد من الناس. هكذا تأثرت شخصية طه حسين بالشخصية الإغريقية، فلقد ظل متمسّكا بمبادئه مناديا بضرورة دراسة وتدريس اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما، لا يهدأ، ولا يلين، ولا يخضع لتهديد أو وعيد، ولا ينخدع بإغراء أو ترغيب. ولقد كان له ذلك. فلقد أصبحت هذه الدراسات الآن تنعم بالإزدهار ولا تقل فى مكانتها عن بقية الدراسات الأخرى.

يضم هذا المجلد ترجمات لست تراجيديات للشاعر الإغريقى سوفوكليس. ولقد رؤى إعادة طبع هذه الترجمات إحياء لذكرى طه حسين، وتكريما لمجهوده، واعترافا بفضله فى التعريف بالدراسات اليونانية واللاتينية. فلقد أصبحت هذه الترجمات الآن تراثا عربيا ذا قيمة فائقة، وذلك بالرغم مما شاب طبعتها الأولى من هنّات .فلقد نظم سوفوكليس أكثر من تسعين مسرحية لم يصلنا منها سوى سبع تراجيديات كاملة. ولا ندرى لماذا اهتم طه حسين بترجمة ست تراجيديات فقط هى : إلكترا، وأياس، وأنتيجونا، وأوديبوس ملكا، وأوديبوس فى كولونا، وفيلوكتيتيس، بينما لم يهتم بالسابعة وهى تراجيديا نساء تراخيس. هذا بالإضافة إلى أن المجلد بدون مقدمة، كما توجد لبعض الترجمات مقدمات مختصرة جدا يكاد القارئ أن يخطئ فيعتبرها السطور الأولى من التراجيديا . هذا بالإضافة أيضا إلى أن المجلد يخلو من قائمة بالمحتويات، ولا يحمل تاريخ النشر. كل ما نعرفه عن المجلد هو أنه من إصدارات مؤسسة دار المعارف بمصر. أما عن الترجمة فهى ترجمة جميلة جذابة ذات أسلوب عربى فصيح رصين. وأما عن أسماء الأماكن والأعلام فقد تمّ تعريبها طبقا لمنطوقها فى اللغة الفرنسية التى تأثر بها وترجم عنها طه حسين. هذا بالإضافة إلى أن المترجم قد حذف بعض فقرات الكورس فى أغلب التراجيديات، ربما لأنه كان قد وجد فيها ما لا يتفق مع الذوق العام العربى المصرى أو ما يتنافى مع عاداته وتقاليده. لكن ذلك لا يقلل بأى حال من الأحوال من قيمة الترجمة. فلم تكن مهمة طه حسين فى ذلك العصر سوى تعريف القارئ العربى بالشاعر التراجيدى الإغريقى سوفوكليس والحث على دراسة الإغريقيات بوجه عام. ولقد نجح فى ذلك نجاحا باهرا، فله الحمد وله الثناء، وله ثواب محاولته الجريئة وبلوغ هدفه النبيل.

خلال السنوات الأولى من سبعينيات القرن الماضى وقع اختيار الدكتور محمد رشاد رشدى على ثلاث مسرحيات فقط هى : أوديب ملكا، وأنتيجونا، وإلكترا، وأعاد نشرها فى المجلد الخامس من سلسلة مطبوعات الجديد الصادر فى الخامس من شهر يوليو عام 1972 تحت عنوان " من

الأدب المسرحى عند اليونان – بقلم دكتور طـه حسين " دون الإشـارة علـى الغلاف الخـارجى إلـى سوفوكليس. وعلى الغلاف الداخلى تنويه إلى أن المسـرحيات الثلاث " من أدب سوفـموكليس " !! لكن سرعان ما توالى ظهور ترجمات عربية لتراجيديات سوفوكليس أثناء الربع الأخير من القرن الماضى. أصدرت وزارة الثقافة المصرية ضمن سلسلة المسرح العالم ومسرحيات عالمية ترجمات لبعض مسرحياته قام بها الدكتور على حافظ وآخرون. كما أصدرت سلسلة "من المسرح العالمى" فى الكويت ثلاثة مجلدات تضم ترجمات لمسرحياته السبع (الأول : نساء تراخيس، والثانى : أوديب الملك – أوديب فى كولون – إلكترا، والثالث : أنتيجونا – أجاكس – فيلوكتيت). كما قدمت دور النشر الخاصة ترجمات منفصلة لبعض التراجيديات. أما أحدث ترجمة – وأدّقها فى رأيى الخاص – فهى ترجمة مسرحياته السبع التى صدرت فى سبعة مجلدات منفصلة أثناء العقد الأول من القرن الحالى عن المركز القومى للترجمة التابع لوزارة الثقافة المصرية والتى قامت بترجمتها (سطرا بسطر) والتقديم لها ودراستها الدكتورة منيرة عبد المنعم كروان مع طبع النص اليونانى أمام ما يقابله من ترجمة عربية (صفحة بصفحة). هذا بالإضافة إلى عشرات الكتب والمقالات التى تهتم بدراسة تاريخ حياة سوفوكليس وأعماله التى وصلتنا كاملة وأيضا الشذرات. بالإضافة أيضا إلى عدد كبير من الرسائل الأكاديمية (ماجستير ودكتوراه) التى أجازتها الجامعات المصرية والعربية.

* * * *